



## رمزية الخمر في ديوان (شراب الوصل) للشيخ محمد عثمان عبده البرهاني

الوسيلة إبراهيم محمد درار

أستاذ مساعد . كلية الآداب . جامعة شندي

### Abstract

#### Wine as symbol in the poetry in " Drinking of Intimation

This study aims at explaining what the wine refers at according to Sheikh Mohamed Osman Abdu Elborhani . And to achieve this goal, the researcher studied deductively the wine in this poetry book which is known as" Drinking of Intimation " and comes out with the following results:

First : There is no long poems that Mohamed Osman Abdu Elborhani has in this case as the other Sophism poets .

Second : Mohamed Osman Abdu Elborhani names some of the wine names such as "Elrah" and " Elsalsabeel" as fact , and : "the cup, and the drunken as metaphor .

Third : There are other terms that are related to " the wine" such as "Elsahu", " Elghaibah" and others .

Forth : Mohamed Osman Abdu Elborhani declares that this wine of his, is a special wine which is not that wine of the others.It refers to the " Love of God " and to the situations of sophists .

Fifth : Mohamed Osman Abdu Elborhani always mentions that , when talking about wine, his way is the Coran and that his direction is towards the God .

Sixth : when comparing between the wine in his poetry book " " Drinking of Intimation " and that wine known to every one, are find that the wine which the poet mentions refers to the following :

- 1- The one who takes this wine finds deliciousness from only one drop .
- 2 – Sinking the takers of it in "Love " .
- 3 – The drinker does not feel repentance .
- 4 –With it there is happiness and rest .
- 5 – It has secret that makes the soul in height .

## رمزية الخمر في ديوان (شراب الوصل)

تهدف هذه الدراسة إلى بيان ما ترمز إليه الخمر عند الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني، وللوصول إلى هذا الهدف، قمت بدراسة استقرائية للخمر في ديوانه المعروف بـ (شراب الوصل) ومن ثم توصلت إلى جملة من النتائج :

أولاً: لم يكن للشيخ محمد عثمان عبده البرهاني مطولات خمرية كما عند كثير من أدباء الصوفية .

ثانياً: ذكر الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني من أسماء الخمر : " الراح، والسلسبيل حقيقة والشراب والكأس والسكر مجازاً" .

ثالثاً: يقترن بذكر الخمر مصطلحات أخرى مثل : " الصحو، والغيبة، وغيرهما .

رابعاً: صرح الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني عند ذكره الخمر بأنها خمر خاصة ليست كخمر غيرهم وهي رمز للحب الإلهي وللأحوال الصوفية .

خامساً: يؤكد الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني دائماً عند ذكره الخمر أن منهجه هو القرآن وأن الله هو وجهته .

سادساً: عند المقارنة بين الخمر كما في ديوان (شراب الوصل) والخمر الأخرى الحسية المعروفة . نجد أن خمر (شراب الوصل) الآتي :

- 1- يمكن أن ينتشي شاربها بقطرة واحدة منها .
- 2- تغرق كل شاربها في الهوى .
- 3- لا يندم شاربها .
- 4- بها يكون الهناء والراحة .
- 5- بها سر يسمو بالروح .

تمهيد :

منذ أن وُجد البشر على ظهر البسيطة بظهور أبي البشر عليه السلام . وُجد معهم ما يتصلون به سواء أكان ذلك بالإشارة أم بالرمز أم بالخطاب المباشر أم بغيره ، ولقد حُصَّ الإنسان بالبيان؛ والبيان هو أعلى مراتب البلاغة ووسائل

الاتصال؛ فإنَّ الحيوانات تُعبر عن حاجاتها ولكن دون البيان الناطق الذي خُصَّ به البشر.

وكما فضّل الله عز وجل البشر على بقية المخلوقات وخصهم بنعمة البيان . كذلك فضل بعضهم على بعض، بل فضل خواصهم بعضهم على بعض في هذه النعمة، بل في كل شيء؛ وعلى هذا التوالي نجدهم . أي البشر . يتفاوتون في وسيلة التعبير ووسيلة الاتصال أعني لغة البيان؛ فنجد منهم من يطيل لايصال الرسالة للعام، ومنهم من يؤجّز ليفهم الخاص، ومنهم من يرمز ليفهم الخاص ويخفي عن العام وهكذا .

أرى أنّ للصوفية إرثاً كبيراً من الأدب . وهو يُستحق أن يُبحث فيه . وإنّ ديوان (شراب الوصل) للشيخ محمد عثمان عبده البرهاني لجدير بالدراسة والبحث في ميدان الأدب الصوفي المشبع بالرمزية .

### حياة الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني

#### مولده ونسبه :

ولد الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني(1902 . 1983م ) في حلفا . وهو شريف النسب إذ ينتهي إلى الإمام الحسين ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد أوردت نسبه اللجنة العليا للطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية في مقدمة مؤلفاته، والنسخة الأصلية عند السيد إدريس سليمان من أهالي صرص، وصحح بيد الأستاذ محمد سر الختم الميرغني.(1)

#### تعليمه:

كانت بداية تعليمه في الخلوة حيث تعلم حروف الهجاء وكتابة القرآن وحفظه، ثم أدخل المدرسة ب (جبل أولياء) وقد درس الأولية ثم الابتدائية إلى الثانية فقط، ثم فارق المدرسة لينشد تعليماً موسعاً، يأخذه من العلماء العاملين حيث تعلم علوم الشريعة من فقه، وتوحيد، وحديث، وسيرة، وتفسير وكان كل ذلك بالمساجد. (2)

### عبادته :

اجتهد الشيخ محمد عثمان عبده في العبادة منذ صغره، وكان يتعبد في غار في (جبل أولياء) فترة طويلة كعادة أولياء السودان ثم فارق (جبل أولياء) ليعود إلى مسجد الخرطوم الكبير للدراسة والإفادة من العلماء ومازال مع ذلك مجتهدا في العبادة والقيام في الليل والصيام في النهار. (3)

### علمه وقوة حجته :

للشيخ محمد عثمان عبده كثير من الدروس؛ فقليل إنه كان يُقيم درساََ يومياً بعد كل وقت من أوقات الصلاة، وكان يتصف بقوة الحجة، وكانت له تفاسير وأقوال . كما قيل . قد أدهشت الحاضرين، فمن ذلك :

في أحد مجالسه سأل أحداً يدعى معرفته القرآن . عن معنى (باسم الله) فدهش الرجل من السؤال وقال : هذا معنى واضح ؛ فقال له الشيخ : لماذا قال تعالى باسم الله ولم يقل بالله ؟ إن قوله باسم الله تعنى أن الله اسماً آخر. (4)

سئل عن قول الحلاج "ما في الجبة إلا الله" فقال لهم : نعم ما في الجبة إلا الله فقالوا: إن هذا كفر فقال : وهل الله تعالى (بيكفر) ؟ قالوا : لا ، فقال لهم : إن الله تعالى يقول : " أينما تولوا فثم وجه الله " فالتمسوا لكم عينا - مثل عين الحلاج- لتدرك لكم أنه ما في الوجود إلا الله (5)

ومن كلام الشيخ محمد عثمان عبده عن وجود الله يقول: " تقابلت ذات يوم مع بعض الذين لا يؤمنون إلا بالماديات في الخرطوم، وكانوا يجلسون في إحدى المقاهي، فقال لي أحدهم: يا شيخ محمد، لقد قرأت كتب الصوفية كلها ووجدتها تنص على أن الله ليس بموجود في اليمين ولا اليسار ولا في الأمام ولا في الخلف فقلت لهم - مواصلا - ولا فوق ولا تحت.

فقال : إذن أنت متفق معنا.

فقلت : لا إنما أردت أن أصحح معلومة وهي أن الجهات ست وليس أربع.

فقال : فأين الله إذن.



فقلت : هناك أشياء كثيرة لا ترى ولكنها موجودة.

فقال : مثل .

فقلت : من أين يستخرج السمن ؟

فقال : من اللبن .

فقلت : وهل يرى السمن وهو في اللبن؟

فقال : لا .

فقلت : إذن السمن موجود وغير معروف .

ثم قلت : هل الروح في الجسد؟

فقال : نعم

فقلت : في أي جهة موجودة ؟

فقال : لا ندرى لها جهة .

فقلت : وهل الهواء في الفضاء ؟.

فقال : نعم .

فقلت : في أي جهة ؟.

قالوا: ماذا تعنى بكلامك هذا؟.

قلت: لقد قلت لكم إن الله موجود ثم أردت أن أبرهن لكم من واقعكم الملموس . وفي

تلك الأثناء كان أمامي كوب فرغته وقلت مخاطباً السائل، هل هذا الكوب صنع في

مصنع ؟.

قال : نعم .

قلت : وهل اشترك في صنعه كثير من الصناع ؟.

قال : نعم .

قلت : وهل صنع من خامات؟.

قال : نعم .

قلت: وهل هناك مهندس أشرف على صنعه؟.

قال : نعم

قلت : هل هذا الكوب يعرف الذي صنعه ؟ قال : لا .

قلت : وهل يعرف المهندس الذي أشرف على صنعه؟ قال : لا .

قلت : وهل يعرف الخامات التي صنع منها ؟ قال : لا .

قلت : أنت بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى مثل هذا الكوب فانه تعالى لا يدرك بالعين ولا يمكن معرفته إلا به ، فصمتوا جميعاً وأزلفوني بأبصارهم وتسمروا في أماكنهم ودهشوا مما يسمعون . ( 6 )

ضرب الشيخ مثلاً لبعض الإخوة الذين كانوا يذكرون الله دون معرفة وينقلون من (اسم) إلى آخر دون معرفة أيضاً - وذلك عندما تساءلوا: لماذا لم يترقوا ؟ فقال لهم: هل تعرفون الحياكة ؟ وهل تعرفون المكوك ؟ أليس المكوك مصنوعاً من الحديد الصلب؟. قالوا . بلى .

قلت : وهل هذا الخيط يؤثر في المكوك؟.

قالوا : إنه يؤثر عليه كثيراً حتى إنه ليتآكل وينكسر .

فقلت : كيف يؤثر الخيط في المكوك؟.

قالوا: من كثرة مرور الخيط به .

فقلت : إذن كيف يؤثر الخيط وهو رقيق مصنوع من القطن في الحديد الصلب من كثرة ترده ومروره به ولا تتأثر القلوب من كثرة ذكر الله ؟ شئ آخر إن البئر التي توضع على سطحها قضبان من الحديد الصلب فعند تردد حبل الدلو ذهاباً وإياباً إلى داخل البئر وخارجها لاستخراج الماء - يقطع هذا القضيب فكيف لا يؤثر ذكر الله في القلوب وقد أثر الحبل في الحديد. إن مثلكم كمثل من يحفر بئراً هنا فلما كادت مياؤها على الانبثاق تركها إلى بئر أخرى ليحفرها ثم إلى ثلاثة وهكذا وهذا جدير لأن يؤدي إلى خراب الأرض ولو كان قد استمر في حفر بئر في مكان واحد لانبثقت مياؤها ولو كان حفره لها بإبرة (7).

## أثاره :

للشيخ محمد عثمان عبده البرهاني من المؤلفات :

- أولاً: انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان .
- ثانياً: تبرئة الذمة في نصح الأمة وتذكرة أولى الألباب للسير إلى الصواب.
- ثالثاً: مؤلفات دونت من دروسه المسجلة وهي :
- 1-قبس من نور .
- 2- علموا عني .

• رابعاً : ديوانه ، ويسمى بـ (شراب الوصل) وقد أشار إليه بقوله:

(شراب الوصل) مما قلت فيه      فهل فيكم رجال يسمعون (8)

ويحتوى على خمسة أجزاء تحوى خمساً وتسعين قصيدة . وأطول قصائده تسمى بـ(التائية) تبلغ ثلاثة وعشرين وأربعمائة بيت، وكل قصائد الديوان باللغة العربية الفصحى، تناول فيها، مدح قصائده وبيان أهميتها، والحديث عن الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، الحديث عن العلم، ذكرالنبي صلى الله عليه وسلم وبيان علو منزلته، ذكر مناقب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة، قضايا صوفية بحتة مثل الفناء، البقاء، التجلى، السكر وغيرها، النصح والإرشاد.

#### الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية :

يتحدث السيد إبراهيم بن الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني وخليفته -عن الطريقة تاريخها ونشأتها-:"هذه الطريقة هي واحدة من طرق الأصول الأربعة (الرفاعية) نسبة إلى السيد أحمد الرفاعي (القادرية) نسبة إلى السيد عبد القادر الجيلاني، (الأحمدية) نسبة إلى السيد أحمد البدوي ثم (البرهانية) وهي ترجع في أصلها إلى شيخها ومؤسسها السيد إبراهيم الدسوقي القرشي الشريف الحسيني الذي له مقام معروف بمدينة دسوق بجمهورية مصر العربية، وتعود تسمية الطريقة البرهانية إلى لقب السيد إبراهيم الدسوقي (برهان الملة والدين)، وإلى خاله أبي الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية".(9)

ويتحدث الشيخ إبراهيم عن دخول الطريقة السودان: "تعد هذه الطريقة من أوائل الطرق الصوفية التي دخلت إلى السودان وإن لم تنتشر بصورة واسعة إلا مؤخراً وهي دخلت البلاد عن طريقين: طريق المغرب بواسطة أحمد زروق (10) وهو شاذلي نشر الطريقة في عدة مناطق من السودان وأخذ عنه الشيخ إدريس ود الأرياب (11) الذي له ضريح معروف يزار في العيلفون" (12)

ويذكر الشيخ إبراهيم الطريق الثاني: "كما دخلت الطريقة إلى البلاد أيضاً من مصر عن طريق وادي حلفا باسم الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية بواسطة الشيخ عبد الرحمن مليك والشيخ عباد والحاج فضل وهو من أجداد الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني (13)

ويتحدث محمد إبراهيم أبو سليم عن الطريقة البرهانية بقوله: "... وكان من المبشرين لها - فيما يبدو من الوثائق المتاحة لنا - الشيخ فضل حامد عبد الباقي والذي يذكر في مذكرة له بأنه أخذ الطريقة من أحد مشائخها بحلفا في عام 1300هـ وأنه صار خليفة في سنة 1308هـ، وقد أفاد بأنه أعطى الإجازة لنحو 200 خليفة وهكذا وجدت الطريقة نجاحاً محسوساً في حلفا" (14)

يقول الشيخ إبراهيم الشيخ محمد عثمان عبده: "وبدأ الشيخ محمد عثمان عبده نشر الطريقة في موطنه في وادي حلفا بعد أن أذن له بالإرشاد مستعينا في ذلك بكتب الطريقة المعروفة عن أجداده والتي منها استخرج أوراد الطريقة البرهانية، ثم انتقل الشيخ إلى مدينة عطبرة حيث استقر به المقام لفترة من الزمان ونشر الطريقة بهذه المدينة التي تعتبر مركزاً كبيراً لتجمعات العاملين وفي مطلع الأربعينات جاء الشيخ إلي الخرطوم واستقر منذ ذلك الحين فيها وأصبحت هي المقر الرئيسي للطريقة ومنها انتشرت إلى كل أنحاء السودان عن طريق الذين استرشدوا من الشيخ ثم انتقلوا إلى مدن أخرى بحكم أعمالهم. أما في مصر فقد انتشرت الطريقة أيضاً بواسطة الشيخ أثناء تردادها عليها منذ شبابه الباكر لزيارة مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه وأهل البيت الأكرمين.



وانتشرت الطريقة أيضا في أوروبا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وإنجلترا وفي الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة أبناء الشيخ الذين ذهبوا إلى تلك البلاد في بعثات دراسية أو بحكم طبيعة عملهم.

ولابد من الإشارة هنا لتفسير الانتشار الواسع للطريقة إلى منهج الشيخ في الإرشاد فقد أذن لكل أبناء الطريقة بأن يعلموا من يريد الانخراط في سلكها - كيفية قراءة الأوراد وتنظيم العبادات كما تعلموها منه وقد سهل هذا المنهج دخول الكثيرين إلى الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية (15)

وتعد ألمانيا من أول الدول الأجنبية التي دخلتها الطريقة وبصورة كبيرة وأصبح فيها الآن كثير من دور وزوايا الطريقة البرهانية . وكان أول وفد ألماني جاء الخرطوم إلى حيث مقر الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني واعتناقهم الإسلام - عام ثمانين وتسعمائة وألف من ميلاد المسيح عليه السلام وكانوا حوالي ثمانين فرداً من الرجال والنساء. (16)

#### مفهوم الرمز :

يقول ابن فارس: " الراء والميم والزاي أصل واحد يدل على حركة واضطراب؛ يُقال كتيبة رمّاة تموج من نواحيها، ويُقال ضربه فما ارمأز: أي تحرك، وارتمز أيضاً، ويقولون إنَّ الراموز: البحر، وأراه في شعر هُذيل " (17)

وعند ابن منظور: " الرَّمزُ تصويت خفي باللسان كالهَمْسُ ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفيتين وقيل الرَّمزُ إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم والرَّمزُ في اللغة كل ما أشرت إليه مما يُبان بلفظ بأي شيءٍ أشرت إليه بيد أو بعين ورَمَزَ يَرْمِزُ وَيَرْمِزُ رَمَازاً ... وجارية رَمَازَةٌ عَمَازَةٌ وقيل الرَّمَازَةُ الفاجرة مشتق من ذلك أيضاً ... والرَّامُوزُ البحرُ وارتَمَزَ الرجلُ وترَمَزَ تحرك وإبل مراميزُ كثيرة التحرك " (18)

ويعرفه محمد عبدالرؤوف المناوي بأنه: " تَلَطَّفَ في الإِفْهَام بِإِشَارَةِ تُحْرِكُ طرفٍ كاليد واللحظ والشفتين والغمز أشدُّ منه. ذكره الحرالي، وقال الراغب : إشارة بالشفة، والصوت الخفي، والغمز بالحاجب، وعُبر عن كلِّ كلام كإشارة بالرمز ... " (19)

كما ذهب الألويسي إلى أنّ المراد بالرمز في قوله تعالى: " آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا " ( آل عمران، 41). هو الإشارة باليد أو الرأس أو غيرهما، ونلاحظ أنّ الاستثناء في الآية عن الكلام هو استثناء الكلام المرموز؛ فهو يتكلم مع الناس ولكن بالرمز أي بالإشارات الخفية، وأسهب الألويسي في توضيح المراد من الرمز؛ " أي إيماء وأصله التحرك يُقال (ارتمز) أي تحرك، ومنه قيل للبحر الراموز، وأخرج الطيبي عن ابن عباس أنّ نافع بن الأزرق سأله عن الرمز؛ فقال: الإشارة باليد والوحي بالرأس؛ فقال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

ما في السماء من الرحمن من مرتمز إلا إليه وما في الأرض من وزر  
وعن مجاهد أنّ الرمز . هنا . كان تحريك الشفتين، وقيل الكتابة على الأرض، وقيل الإشارة بالمسبحة، وقيل الصوت الخفي، وقيل كل ما أوجب اضطراباً في الفهم كان رمزاً " (20)

وأورد صاحب المعجم المفصل في الأدب ما نصه: " الرمز علامة تعتبر ممثلة لشيء آخر ودالة عليه فتمثله وتحل معه . والرمز يمتلك قيمة تختلف عن قيم أي شيء آخر يرمز إليه كائناً ما كان، وهو كل علامة محسوسة تُذكر بشيء غير حاضر؛ فالعلم وهو قطع من القماش الملون يرمز إلى الوطن والأمة، والصليب يرمز إلى المسيحية، والهلال يرمز إلى الإسلام، كما استخدم الشعراء ريح الصبا رمزاً للمحبوب الغائب، والوردة رمزاً للجمال، والتنين عند الصينيين رمزاً للقوة الملكية... " (21)

ويقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بكونه رمزاً وإعجازاً في قوله:

لِأَتِكَ الرَّمُزُ وَالْإِعْجَازُ أَجْمَعُهُ لِمَنْ تَوَهَّمَتْ فِي أَوْصَافِ أَنْعَاتِ " (22)

ويقول محمد فتوح أحمد: " الرمز شيء حسي معتبر كإشارة إلى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس ، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشئيين أحست بهما مخيلة الرامز ... وأصبح واضحاً أنّ الرمز بمعناه الدقيق يتميز بأمرين :

• أولاً: أنه يستلزم مستويين؛ مستوى الأشياء الحسية، أو الصور الحسية التي تؤخذ قالباً للرمز، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز .

• ثانياً: أنه لا بدّ من وجود علاقة بين ذينك المستويين؛ هذه العلاقة التي تهب الرمز قوة التمثيل الباطنة فيه؛ نعني علاقة المشابهة التي يُقصد بها التماثل في الملامح الحسية، بل يُقصد بها تلك العلاقات الداخلية بين الرمز والمرموز .."(23) ويقرر هنري بريمون أنّ " للقصيدتين معنيين: المعنى المباشر وهو نثر القصيدة أو جزؤها الكدر، والمعنى الذي يفيض أو يستقطر من الأبيات؛ وهو المعنى الأهم الذي لا يفهمه إلا شاعر أو أشباهه؛ المعنى السري الذي لا يمكن أيضاً أو حصره"(24) و يفهم من ذلك أنّ الرمز هو تركيب لفظي أساسه الإيحاء عن طريق المشابهة بما لا يمكن تحديده .

أمّا الرمز عند قدامى العلماء والنقاد فقد أدخلوه في باب الكناية؛ يقول قدامى بن جعفر وقد سمي الرمز و الكناية إردافاً: " ... ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى الإرداف وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع ؛ بمنزلة قول ابن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل أبوها وإمّا عبد شمس وهاشم "(25) ويُسمّي أبو علي القالي الرمز لحناً؛ إذ يقول: " ويقال : لحننت له لحناً إذا قلت قولاً يفهمه عنك ويخفى على غيره " وقال تعليقاً على قول أبي بكر بن دريد : " وخير الحديث ما كان لحناً " أي خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب إفهامه وحده وخفي على غيره، وأصل اللحن أن تريد الشيء فتوري عنه بقول آخر "(26)

وأمّا ابن رشيق فقد جعل الرمز نوعاً من أنواع الإشارة .(27) وأمّا السكاكي فقد جعل الرمز من أقسام الكناية، ويبين متى تكون الكناية رمزاً: "... وإذا كانت ذات مسافة قريبة من نوع الخفاء؛ كنحو: عريض القفا، وعريض

الوسادة . كان اطلاق اسم الرمز عليها مناسباً؛ لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية؛ قال:

رمزت إلى مخافة من بعلمها من غير أن تبدي هناك كلامها " (28)  
وأدخله صاحب جواهر الكنز في الكناية أيضاً في قسم التتبع؛ يقول : " ... وحقيقته  
العدول عن اللفظ المراد به المعنى الخاص به إلى لفظ هو ردفه ... فإن كثر  
الإرداف والوسائط، فإنه يكون خفياً كالألغاز والتعمية التي تُراض بهما الأذهان ؛ فما  
وقع من هذا الباب لقصد سُمي كناية أو تعريضاً إذا قارب الظهور، وأما إذا أوغل  
في خفائه سُمي لغزاً أو رمزاً ... " (29)

ويعرفه الطوسي في اصطلاح الصوفية بقوله : " هو معنى باطن مخزون  
تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله " (30)

أمّا الرمز عند الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني فيعرفه عند مدحه  
النبي صلى الله عليه وسلم . بقوله:

والمعاني في أكننتها رموز فالمباني فيه صارت كالأواني

كُلُّ مَعْنَى كُلُّ مَبْنَى فِيهِ يَفْنَى صَارَ أَعْلَى مَا عَلِمْنَا عَنْهُ دَانِي " (31)

جعل الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني المعاني وهي في أكننتها (مخابئها) . رموزاً،  
وكانه أخذ هذا المعنى من ابن رشيق القائل: " اللفظ جسم وروحه المعنى " (32)؛  
وذلك لأن المعاني لا تتفك عن ألفاظها ؛ فهي مثل الروح مع الجسد؛ وكل لفظ يحمل  
داخله معنى هو عبارة عن رمز؛ فلفظ (ذهب) مثلاً يحمل معنى الذهاب، ف (ذهب)  
رمز، ويؤكد الشيخ على ذلك المعنى في عجز بيته . عند مدحه النبي صلى الله عليه  
وسلم بأن المباني ( مكونات الألفاظ) في مدحه صلى الله عليه وسلم هي بمنزلة  
الأواني (الظرف)، وأن المعاني هي بمثابة المظروف، وإذا رتقنا تلك الأواني أي إذا  
فككنا اللغز وعرفنا العلاقة بين الرمز والمرموز تحصلنا على المعنى وهو الغاية؛  
يقول:

وَلَوْ قَرَأُوا رَمَزًا أَمِيطُ سُؤْرَهُ وَلَوْ جَهَلُوا مَعْنَى يَكُونُ كِنَايَتِي " (33)

ويقول عن قصائده - وهي كلها رموز :

بِهَا تَكَلَّمْتُ لَا فُصِحَى وَقَدْ رَمَزْتُ وَلَوْ نَقَصَّحْتُ إِفْشَاءً فَكَالظُّلْمِ " (34)

ولكنها ذات رموز مفتقة :

جَوَامِعُهَا فَرْقِيَّةٌ وَرُمُوزُهَا مُفْتَقَةٌ وَالْوَصْفُ يُجْمَلُ لُجَّهَا " (35)

ويقول مؤكداً على أن الرمز يحتاج إلى من يفك طلاسمه؛ إذ هو كاللغز : وكل رموز المرتقات فتقتها " (36)، وهو يريد بالمرتقات تلك المعاني وهي في أكنتها.

**ضرورة الرمز :**

إن مراعاة مقتضى الحال تتطلب وجود الرمز؛ إذ أن الإفهام من جانب المتكلم يقتضي معرفة حال السامع، ولكل حال ما يناسبه من التعبير والإفهام؛ فأحياناً يكون الإفهام بالألفاظ الواضحة المعاني الصريحة، وتارة يكون بالكنائية، وأحياناً أخرى يكون بالرمز أو الإشارة أو غيرهما؛ ما يدل على ذلك أن الله تعالى خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي بكل وسائل التعبير، ومن ذلك الرمز؛ فقال تعالى: "ص" (سورة، ص، 1)، وقال: "طه" (سورة، طه، 1) وقال: "ن" (سورة، القلم، 1)، وقال: "يس" (سورة، يس، 1)، وغيرها ولا شك أن المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم يكون قد فهم الخطاب. كما أثبت الإمام السهيلي ذلك فيما سيأتي، وإلا فلن يكون القرآن معجزاً، ولو كان الأمر مجرد ذكر حروف لذكر منها المرء ما يشاء، ويكون حينها معجزاً، لا بل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فهم ووعى القرآن الكريم، يقول الإمام السهيلي "... ولهذه الحروف في أوائل السور معانٍ جمّة وفوائد لطيفة وما كان الله تعالى لينزل في الكتاب ما لا فائدة فيه ولا ليخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم، وذوي الأبواب من صحبه رضي الله عنهم بما لا يفهمون وقد أنزله بياناً للناس وشفاء لما في الصدور " (37)

جاء في الحديث أن الحارث بن هشام . رضي الله عنه سأل رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليّ فيفصم عني وقد

وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ". (38)

ويوضح صاحب المعجم المفصل في الأدب أهمية الرمز بقوله: " ... ويعمد العلم إلى كثير من الرموز بقصد الإيجاز؛ كما هو الحال في الرموز الرياضية و الكيمائية " (39)

وينشد ابن عربي موضحاً ضرورة الرمز :

ألا إنَّ الرموز دليل صدق	على المعنى المغيب في الفؤاد
وإنَّ العالمين له رموز	وألغاز ليدعى بالعباد
ولولا اللغز كان القول كفراً	وأدى العالمين إلى العناد
فهم بالرمز قد حسبوا فقالوا	بإهراق الدماء وبالفساد
فكيف بنا لو أنَّ الأمر يبدو	بلا ستر يكون له استنادي
لقام بنا الشقاء هنا يقيناً	وعند البعث في يوم التنادي
ولكن الغفور أقام سترًا	ليسعدنا على رغم الأعادي

ويقول: إنَّ الرموز والألغاز ليست مرادة لأنفسها وإنما هي مرادة لما رمزت له، ولما ألغز فيها، وموضعها من القرآن آيات الاعتبار كلها " (40) ويمكننا القول إنَّ الجانب النفسي أو الشعوري، أو ما يُسمى بالتجربة لدى الصوفية تُحتم عليهم للتعبير عنها وجود الرمز كما وضح ذلك من قول ابن عربي أنف الذكر، ويقول الكاشاني: " قد أجمع الصوفية دون استثناء على أنَّ تجربتهم الروحية ومواجيدهم لا تفي بها عبارة، ومع ذلك فهم يعبرون ويستعيرون للإفصاح عما بهم أو عن معارفهم كلَّ ما وقعت عليه أعينهم من وسائل التعبير أو الرمز؛ وهذا يُفسر اختلاط الأمر على كثير من الدارسين الذين لا يتعمقون في فهم حقيقة التراث الصوفي؛ فيرون فيه مجرد استعارة من ميادين أخرى وبخاصة في النطاق الشعري " (41)

ويقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني :

واحتوينا (هو) رموزاً لو فتقنا ما رتقنا لاستحال القول فيه " (42)

فهو يؤكد على أنَّ تجربته وما حباه الله به من علم بمحبوبه ليستحيل الإفصاح عنها قولاً؛ ولذا كان الرمز، ويقول في موضع آخر :

كشف ما شاهد الكرام محال إن يكن مُمكناً فثَمَّ الحياءُ " (43)

## رمزية الخمر :

يعرف ابن منظور الخمر بقوله : " خَمَرَ الشيءَ قاربه وخالطه ... وأما المُخَامِرُ فهو المُخَالِطُ مِنْ خَامَرَهُ الداءُ إِذَا خالطه ... وَالخَمْرُ ما أُسْكِرَ من عصير العنب لأنها خامرت العقل والتَّخْمِيرُ التَّغْطِيَةُ، وقال أبو حنيفة قد تكون الخَمْرُ من الحبوب فجعل الخمر من الحبوب قال ابن سيده وأظنه تَسْمُحاً منه لأن حقيقة الخمر إنما هي العنب دون سائر الأشياء والأَعْرَفُ في الخَمْرِ التَّأْنِيثُ يقال خَمَرَةٌ صِرْفٌ وقد يذكَرُ، والعرب تسمي العنب خمرًا، قال وأظن ذلك لكونها منه حكاها أبو حنيفة قال وهي لغة يمانية ... وسميت الخمر خمرًا لأنها تُرِكَتْ فَاحْتَمَرَتْ واخْتِمَارُها تَغْيِيرُ ريحها ويقال سميت بذلك لمخامرتها العقل ... وَالخَمْرُ ما خَمَرَ العَقْلَ وهو المسكر من الشراب وهي خَمْرَةٌ وَخَمْرٌ وَخُمُورٌ مثل تمره وتمور ... " (44)

ويعرفها أبوالبقاء بقوله: " كل شراب مغط للعقل سواء أكان عصيراً أم نقيعاً مطبوخاً كان أو نبيئاً فهو خمر وكل شيء غطته فقد خمرته، وكل ما يستر شيئاً فهو خمارة " (45)

ويعلل لتسميتها ويعرفها ابن دريد بقوله: " الخمر معروفة ويُقال سُميت خمرًا لأنها تخامر العقل، زعموا أي خالطه وتداخله من قولهم: خامره الحزن مخامرة ... وكل إناء صببت فيه شيئاً وتركته حتى يتغير طعمه فقد خمرته تخميراً ، والتخمير : التغطية " (46)

ويقول ابن فارس إنَّ: " الخاء والميم والراء أصل واحد يدل على التغطية والمخالطة في ستر، فالخمر: الشراب المعروف قال الخليل: الخمر معروفة ... " (47) ومن المعروف أنَّ الخمر في التشريع الإسلامي رجس من عمل الشيطان؛ ولذا فقد طالب الشارعُ المسلمَ باجتنابها، ولأن العرب الجاهليين كانوا قد تُيموا بها زماناً، وأصبحت من العادات التي لا يمكن التخلي عنها بأي حال من الأحوال . تدرج الشارع . بُعيد انخراط العرب في الإسلام . في النهي عن شربها، قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى حتى تعلموا ما تقولون " ( النساء 43)، وقال تعالى:

" يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع وإثمهما أكبر من نفعهما " (البقرة 219)، و قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون " (المائدة 90).

واتخذت الخمر بعد حقب من زمان الجاهليين رمزاً، وهو رمز قديم في تراث الصوفية، يقول الدكتور عاطف جودة: " تحولت الخمر في الشعر الصوفي كما تحول الغزل العذري إلى رمز عرفاني... ويظهرنا تتبع الطبقات الصوفية على أن هذا التحول بدأت بواكيره منذ القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ، ومما يظهر هذا الزعم دوران المصطلحات الخاصة بأحوال السكر والصحو بين متصوفة الطبقة الأولى، وقد أورد القشيري في رسالته أن يحيى بن معاذ الرازي (258هـ . 874م) كتب إلى أبي يزيد البسطامي (261هـ . 877م): ههنا من شرب كأساً من المحبة لم يظماً بعدها، فكتب أبويزيد: عجبت من ضُغفِ حالك، ههنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر فاه يتزَيّد ... " (48)

ويُعد الرمز الخمري من أشهر رموز الصوفية، وهم يرمزون به . كما قال عاطف جودة . إلى : " معاني الحب والفناء والغيبة عن النفس بقوة الواردات، والوجد الصوفي العارم، والسكر الإلهي المعنوي بمشاهدة الجمال المطلق، ومنازلة الأحوال، والتجارب الذاتية العالية " (49)

وقد كثر ورود مصطلحي السكر والشراب في مؤلفاتهم ، ولم يذكروا الخمر باسمها إلا قليلاً في أشعارهم وكأنهم . بذكر السكر . يريدون إثبات شربهم تلك الخمر المعنوية ، وإثبات فعلها بهم .

والسكر هو : " حالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يستعمل في الشراب

المسكر وقد يُعترى من الغضب والعشق ولذلك قيل :

سكران: سكر هوى وسكر مدامة أنى يفيق فتى به سكران " (50)

ويعرفه الجرجاني: " السكر : غفلة تعرض بغلبة السرور على العقل بمباشرة ما يوجبها من الأكل والشرب، وعند أهل الحق: السكر هو غيبة بوارد قوي وهو يعطي



الطرب والالتذاد، وهو أقوى من الغيبة وأتم منها، والسكر من الخمر عند أبي حنيفة  
ألا يعلم الأرض من السماء وعند أبي يوسف ومحمد والشافعي هو أن يختلط كلامه  
وعند بعضهم أن يختلط في مشيته تحرك" (51)

وفي مصطلح الصوفية يعرفه الكلاباذي: " السكر هو أن يغيب عن تمييز الأشياء  
ولا يغيب عن الأشياء، وهو ألا يُميّز بين مرافقه وملاذه وبين أصدادها " (52)

ويعرفه النبهاني: " قال بعضهم هو استيلاء سلطان الحال، وقال بعضهم هو غليان  
القلب عند معارضات ذكر المحبوب، وقال بعضهم هو غيبة لوارد قوي " (53)

ويقول ابن عربي: " السكر علم الأحوال ولهذا يكون لمن قام به الطرب  
والالتذاد، وأما حدهم له بأنه غيبة بوارد قوي . فما هو غيبة إلا عن كل ما يُناقض  
السرور والطرب والفرح " (54)

ويقول القاشاني: " السكر دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال  
المحبوب فجأة؛ لأن روحانية الإنسان التي هي جوهر العقل لما انجذبت إلى جمال  
المحبوب . بعد شعاع العقل عن النفس ، وذهل الحس عن المحسوس، وألمّ بالباطن  
فرح ونشاط وهزة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة والتمييز، وأصاب السر دهش و  
ولة وهيماناً دونه لتحير نظره في شهود الجمال، وتسمى هذه الحالة سُكراً لمشاركتها  
السكر الظاهري في الأوصاف المذكورة، إلا أنّ السبب لاستتار نور العقل في السكر  
المعنوي غلبة نور الشهود، وفي السكر الظاهري غشيان ظلمة الطبيعة؛ لأن النور  
كما يستتر بالظلمة يستتر بالنور الغالب كاستتار نور الكواكب بغلبة نور  
الشمس". (55)

ويعرفه الشيخ محمد عثمان عبده بقوله: " السكر هو الوجد (شدة المحبة) مع  
غيبان العقل " (56)

ويذكر النقشبندی سبب السكر: "... والسكر لا يكون سببه إلاّ المكاشفة بنعت  
الجمال؛ لأنه طرب الروح وهيام القلب، ولا يكون ذلك إلاّ لأصحاب الوجد،  
والمشاهدة، والوجود، لا لأهل الرغبة والرغبة والخوف والرجاء " . (57)

ويتضح لنا مما سبق عرضه أن المصطلحات: الخمر، السكر، والشراب . عند الصوفية . هي لشيئ واحد ، وأنهم . أي الصوفية . يرمزون بها إلى: الغيبة، استيلاء سلطان الحال، غليان وهيام القلب عند معارضات ذكر المحبوب، الدهشة في مشاهدة جمال المحبوب، طرب الروح، علم الأحوال ... وأن هذا السكر الاصطلاحي أصبح خاصاً بأصحاب المواجيد .

ولما هو معروف عن الخمر أنها رجس من عمل الشيطان . صرح الصوفية في ذكرهم لها بأنها خمرٌ خاصة ليست كخمر غيرهم، أي أنها ليست هي الخمر المقصودة المحسوسة التي كان يشربها العربي فتغيب عقله، إنما خمرهم خمر معنوية، وهي رمز لمواجيدهم وحبهم الإلهي وأحوالهم قال الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني :

مَنْ يَجْرِعَ الْخَمْرَ الْمُعْتَقُ سِرُّهَا حَتَّى الثَّمَالَةِ مَا عَلَيْهِ جُنَاحُ " (58)

وبالطبع ليس المراد بالخمر الخمر المعروفة لدى عامة الناس، إنما هي هنا رمز للمحبة الإلهية الموصوفة بالقدم بدليل قوله ( المعتق)؛ إذ أن تعتيق الخمر معدول به عما كان الشعراء الخمازيون يقصدون: من أنها تكون أشد إسكاراً وأنها عنقت حتى ذهب أكثرها ونلاحظ أن الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني يشير بحلها بقوله (ما عليه جناح) ، ويقول :

وَأَكْرَعُ خَمْرًا حَلَّ مَا فِيهِ حُرْمَةٌ وَيَشْرَبُ غَيْرِي مِنْ عُلُومِ رَوَاكِدِ " (59)

وهنا يرمز بالخمر لعلم الأحوال كما قال ابن عربي: هو علم الأحوال ولهذا يكون لمن قام به الطرب والإلتذاذ .

وتقول سعاد الحكيم: " واستفاد ابن عربي من تأثير الخمر في الإنسان من حيث أنها تبدل حال شاربها فجعلها إشارة لعلم الأحوال " (60) ، و الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني يصرح . أيضاً . بحلها بقوله (حَلَّ مَا فِيهِ حُرْمَةٌ) مما يثبت أنها خمر الخاصة ذات الرمز الخاص .

ويقول ابن الفارض :

وقالوا شربت الإثم كلا وإنما شربت التي في تركها عندي الإثم " (61)

أي أنّ العامة يظنون أنّ المراد بالخمير . وقد ذكرها ابن الفارض في أشعاره . تلك الخمر التي تُصنع من العنب أو نحوه، بينما كان ابن الفارض يرمز بالخمير لأحواله ومواجيده وحبه الإلهي والذي يراه فرضاً ولذا كان . في شرعه . ترك شربها هو الإثم، وليس كما يظن العامة أنّها إثم، ويجعل الشيخ قريب الله (أبا صالح) الخمر طهوراً مما يؤكد على أنّها خمر خاصة :

أسكروننا من طهوركم أدخلونا في قصوركم " (62)

ويقول أيضاً :

أيها الصلاح جودوا بالإصلاح أسكروا الأرواح من شراب الراح

جودوا بالإدمان من طهور الحان خمرة الرحمن فالق الإصباح " (63)

ويصرح النابلسي بحجتها وعدم ضررها ؛ يقول :

يا نُدامي ما على شاربها حيث باحوا بسرها من بأس " (64)

وقالوا أول ما ظهرت المطولات الخمرية في أواخر القرن الرابع الهجري ومن بين تلك النماذج الخمرية قول أبي مدين التلمساني (514 . 594 هـ) :

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنا فنحن لا نرى المزج مذكنا

وغنّ لنا فالوقت قد طاب باسمها لأتأ إليها قد رحلنا بها عنّا " (65)

ولابن الفارض مطولة في الخمر أيضاً، مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم " (66)

أمّا الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني فلم يكن له مثل تلك المطولات، بل نجده قد مال للإيجاز، بل نجد ذكره الخمر لا يتجاوز البيت الواحد في القصيدة ذات الموضوعات المتعددة.

ذكر الشعراء للخمر أسماء كثيرة منها: الخمر، الراح، السلسبيل، الصهباء، الخندريس، السلاف، ... أمّا الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني فقد ذكر من تلك الأسماء الخمر، الراح، السلسبيل، الشراب، كما ذكر الكأس وأراد بها الخمر، وذكر السكر وأراد به الخمر أيضاً .

يمدح الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني الخمر ويفتخر بكونه وحده هو الذي يسقيها لشاربيها ، وهو يرمز بها لعلم الأحوال الذي يؤدي إلى الوجد والحب الإلهي :

أَيُّ خَمْرٍ وَأَيُّ شَرِبٍ مُصَفَّى دَنْ دِيَوَانِهِ أُدِيرُهُ وَحَدَى " (67)

ويقول أيضاً :

أَيُّ كَرَمٍ وَأَيُّ خَمْرٍ وَأَمْرٍ أَيُّ صَاحٍ مِنَ النَّهْتِكِ يُبْدَى " (68)

ويأتي المدح بأسلوب التعجب السماعي عن طريق الاستفهام، أي خمر وأي شرب، أي كرم وأي خمر .

وتفتقر بنكر الخمر مصطلحات أخرى مثل قوله (صاح)، والصحو هو: " عقيب السكر وهو أن يميز فيعرف المؤلم من الملد فيختار المؤلم في موافقة الحق و لا يشهد الألم بل يجد لذة في المؤلم كما جاء عن بعض الكبار أنه قال: " لو قطعني بالبلاء إرباً إرباً ما ازدت لك إلا حباً حباً " (69)، ويقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني . تأكيداً على تلك المعاني . :

وَرَزْتُ عَنِ الْمُحْبُوبِ بَعْضًا وَجُمَلَةً وَأَسْتَعِذُّ بِالْبُلُوى وَصَبْرِي مَطِيئِي " (70)

فهو يستعذب البلوى أي هي وإن كانت مؤلمة . فهي عذبة حلوة ...

يمدح الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني خمر الصوفية بقوله :

حَتَمَ اللهُ رَحِيْقًا عِنْدَمَا شَرِبْتَهُ الرُّوحُ يَانِعَمَ السَّكْرُ " (71)

والسكر هو رمز لطرب الروح وهيامها ووجدتها ويفهم أن شرب الخمر هنا شرب معنوي ؛ لأنه شرب الروح.

ويقول الشيخ قريب الله :

عاد السرور وخيمت أفراحي يا نعمتي بمدامة الأرواح " (72)

ويرمز الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني بالخمر لأحوال الوجد؛ يقول :

شَرَابُ قَوْمِي عَظِيمٌ جَلَّ صَانِعُهُ وَفِي كُؤُوسِ الخَفَا نَسَقِي أَحِبَّتَنَا " (73)

فهي خمر من صنع عظيم ، وتُسقى للأحبة في خفاء؛ مما يفهم أنها ليست خمرًا محسوسة، إنما هي خمر الأرواح، وهذه الخمر تُسقى الذاكرين الله والذاكرات، وهي رمز للحب والوجد والهيام بدليل ذكره للأحبة .

ويقول الشيخ قريب الله :

إن ترد يا صاح أن تشربها لازم الأوراد وقت السحر

بحضور ثم قصد صالح بعدها لمني إذا لم تسكر " (74)

ويقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني وهو يرمز لمحل الشراب المرموز به

لعلم الأحوال . بالهان :

مَنْ يَفْتَرِفْ حُسْنَى بِهَا فِي حَانِهَا نِعْمَ الثَّوَابُ وَيَالَعَذْبَ الْمُنْهَلِ " (75)

وهو يمدح ذلك الشراب. وهو في الحان. في عجز بيته (نِعْمَ الثَّوَابُ وَيَالَعَذْبَ

الْمُنْهَلِ)، ويذكر الحانة (حانوت الخمر) :

فَيْشْرَبُ الْحَبُّ صَافِي الْعَذْبِ أَعْدَبِهِ وَسَلْسَبِيلُ الْعَطَايَا مِلْءُ حَانَتِنَا " (76)

فهي خمر سلسبيل عذبة يشربها الحب وحاننتا مليئة بها، وهو يرمز بها للوجد والحب

والهيام .

ويقول مادحاً الخمر التي يُطلق عليها هنا السلسبيل أيضاً :

شَرَابِي عَذْبٌ سَلْسَبِيلُ مَذَافُهُ وَعِلْمِي كَنْزٌ فِي قُلُوبِ أَحِبَّتِي " (77)

ويرمز بالشراب السلسبيل لقصائده التي تؤدي إلى الطرب الروحي والهيام .

ويقول الشيخ قريب الله :

وقصائد صيغت لمدح محمدٍ سكر المحب بها لدى الإنشاد

قد ألبسته من الجمال مهابة تُسبي العقول بنورها الوقاد " (78)

وتلك الخمر المرموز بها للوجد أو هيام القلب أو الطرب الروحي أو المحبة

الإلهية...- تفعل بشاربها ما لا تفعله الخمر الحقيقية، وهذا مما يجعلنا نقارن بين

خمر المتصوفة، والخمر الظاهري الحقيقية الحسية المعروفة. في ديوان شراب

الوصل، وما تفعله تلك الخمر يقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني :

وَشَارِبُ حَمْرِي يَنْتَشِي لَوْ بِقَطْرَةٍ (79)

فخمره ينتشي شاربها بقطرة واحدة خلافاً للخمر الأخرى المعروفة .

ويقول :

هُوَ الدَّارُ والدِّيَارُ وَالخَمْرُ وَالْفِرَى يُرَاحُ لَدَيْهِ مِنْ عَنَاهُ المُسَافِرُ " (80)  
 يمدح بالبيت النبي. صلى الله عليه وسلم . ويصفه بأنه (الخمير) ويريد بهذا الوصف  
 غليان القلب به عند معارضات ذكره وهيام القلب به، وبه يرتاح السائر إلى الله،  
 ويقول الشيخ قريب الله :

يا من إليك السابقون تعطشوا فحبوتهم بالوصل وهو الراح  
 أرح الفؤاد به فأنت ملكه لولاك لا راح ولا أرواح " (81)

و يقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني :

وَبَعْضُ شَرَابِي أَعْرَقَ الكُلَّ فِي الهَوَى وَمَنْهَجِي القُرْآنُ واللهُ وَجْهَتِي " (82)  
 ويرمز بالشراب هنا للحب والوجد وما يفعله بعض هذا الشراب إغراق كل شارب به في  
 الهوى . ويشير في عجز البيت إلى وجهته الصحيحة السليمة.  
 ومن فعل تلك الخمر أن شاربها لا يندم، بينما شارب الخمر المحسوسة ربما  
 ندم شاربها يقول:

كَلِمَاتُنَا نَهْدِي بِهَا عُشَاقَنَا لِشَرَابِنَا وَنَدِيمُنَا لَا يَنْدَمُ " (83)

وبها يكون الهناء يقول :

هَنِيئًا لِمَنْ أُمَّ الحِمَى وَبِي احتَمَى هَنِيئًا لِمَنْ يُسْقَى بِرَاحِ طَرِيقَتِي " (84)

فهو الحمى ويريد : أنه يقود إلى الحمى ومن يسقى راح طريقه كان له الهناء .  
 ويرمز بالخمير -الكأس- لهيام القلب :

وَكُووسُ العَرَامِ بِالْوَصْلِ مَلَأَى يَا أَحِبَّائِي قَدْ شَرِبْتُمْ فَهَبِمُوا " (85)

فهي تجعل شاربها يهيم ، ويقول الشيخ قريب الله :

خمرة الأقوم تطرد الأوهام كم بها قد هام هائم صيَّاح " (86)

وجعل الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني للخمير سراً :

أُرْحِنَا بِرَاحِ مِنْ حِمَى الغَيْبِ سِرُّهَا وَصَرَّصَرَهَا فِيْنَا الرِّيحُ اللُّوَأُحُ " (87)

وما تفعله تلك الخمر أنها تريح، كما أن هذا السر للخمير قد يسمو بالروح كما في  
 قوله :

وَاشْرَبُوا مِنْ سِرِّ خَمْرِي فَهُوَ بِالْأَرْوَاحِ يَسْمُو " (88)

وقد يريح سر تلك الخمر القلب من عنا المحب؛ يقول :

وَرَا حُ سِرِّي تُرِيحُ الْقَلْبَ مِنْ عَنَتِ وَيَسْتَقِيهَا كِرَامُ فِي ضِيَا قَتِنَا " (89)

ويقول :

فَلْتَنَّهُلُوا مِنْ صِرْفِ رَائِقِ خَمْرِهَا عَلَّ الْعَنَا مِنْ سِرِّهَا يَنْزَا حُ " (90)

فهو يأمر بشربها كعادة الصوفية، كما يبدو أنّها تريح العنا . بسرّها . من قلب المحب .

ويقول أيضاً مؤكداً على أنّ الخمر تريح شاربيها :

وَلَوْ شَرَبُوا رَا حِي أَرَا حُوا قُلُوبَهُمْ مِنْ الْعَنَتِ الْأَدْنَى وَمِنْ كُلِّ شِقْوَةٍ " (91)

وكما تفعل الخمر الحيرة بالألباب والغيبة حتى أن السكران يفعل ما يفعل ولا يدري

أنّه يفعل . يقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني :

وَقَطَعَ مَفْنُونُ الْجَمَالِ أَصَابِعًا وَيَشْهَدُ حَالَ السُّكْرِ بِالْمَلَكِيَّةِ " (92)

يقول الكاشاني بعد تعريفه السكر والصحو . : " ... وهذا كما خرج يوسف عليه السلام

بغته على النسوة فقطعن أيديهن لما أصابهن من الحيرة في شهود جماله والغيبة عن

أوصافهن " (93)

**خاتمة :**

في خاتمة هذه الدراسة يمكن إيجاز ما توصلت إليه في الآتي :

- أولاً: أن المصطلحات: الخمر، السكر، والشراب . عند الصوفية . هي لشيء واحد، وأنهم . أي الصوفية . يرمزون بها إلى : الغيبة ، استيلاء سلطان الحال، غليان وهيام القلب عند معارضات ذكر المحبوب، الدهشة في مشاهدة جمال المحبوب، طرب الروح، علم الأحوال ... وأنّ هذا السكر الاصطلاحي أصبح خاصاً بأصحاب المواجيد .
- ثانياً: صرح الصوفية في ذكرهم للخمر بأنها خمراً خاصة ليست كخمر غيرهم، وهي رمز لمواجيدهم وحبهم الإلهي وأحوالهم .

- ثالثاً: أنّ الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني لم يكن له مطولات خمريّة كما عند كثير من أدباء الصوفية أمثال ابن الفارض وغيره، بل نجده قد مال للإيجاز، بل نجد ذكره الخمر لا يتجاوز البيت الواحد في القصيدة ذات الموضوعات المتعددة.
  - رابعاً: ذكر الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني من أسماء الخمر الراح، السلسيل، الشراب، كما ذكر الكأس وأراد بها الخمر وذكر السكر وأراد به الخمر أيضاً.
  - خامساً: يقترن بذكر الخمر مصطلحات أخرى مثل الصحو، الغيبة، السكر...
  - سادساً: عند المقارنة بين خمر المتصوفة كما في ديوان (شراب الوصل)، والخمر الظاهري الحقيقية الحسية المعروفة . نجد الآتي :
- 1- الخمر التي ذكرها الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني يمكن أن ينتشي شاربها بقطرة واحدة خلافاً للخمر الأخرى المعروفة .
  - 2 - أن خمر الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني تُغرق كل شاربها في الهوى.
  - 3 - أنّ الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني يؤكد دائماً عند ذكره الخمر أنّ منهجه القرآن، وأنّ الله هو وجهته، بينما الشيطان هو وجهة شارب الخمر الأخرى .
  - 4 - أن من فعل تلك الخمر التي ذكرها الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني أن شاربها لا يندم، بينما شارب الخمر المحسوسة الأخرى ربما ندم .
  - 5 - أن خمر الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني بها يكون الهناء .
  - 6 - أن خمر الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني تجعل شاربها يهيم .
  - 7 - أن ما تفعله خمر الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني أنّها تريح .
  - 8 - أن لخمر الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني سراً يسمو بالروح .





### الهوامش :

- 1- تبرئة الذمة في نصح الأمة وتذكرة أولى الألباب للسير إلى الصواب، جامعہ الشيخ محمد عثمان البرهاني طبع الطريقة البرهانية الدسوقية (د، ت، ط) ص 1 .
- 2- قبس من نور، طبع الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، (د، ت، ط)، ص 27.
- 3- مطبوعات الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، (د، ت، ط)، ص 13.
- 4- قبس من نور، طبع الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، (د، ت، ط)، ص 137.
- 5- قبس من نور، (سابق)، ص 119.
- 6- قبس من نور، (سابق)، ص 98، 99.
- 7- قبس من نور، (سابق)، ص 48، 49.
- 8- ديوان شراب الوصل، طبع الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، (د، ت، ط) ، ص 61.
- 9- جريدة الأيام، رئيس مجلس الادارة ورئيس التحرير بالإئابة ابراهيم عبد القيوم صفحة المنوعات (في خدمة الاسلام من الشرق الى الغرب) حوار محمد الحبوب الاربعاء 12 رجب 1405هـ، 3 أبريل 1985.
- 10- أحمد زروق : هو الإمام الفقيه المحدث الصوفي أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي نسبة الى عرب بالمغرب (846 - 899 هـ) شهير بزروق (موسوعة الأنساب والقبائل، د . عون الشريف قاسم).
- 11- إدريس ود الأرياب : من المحس القندلاب ولد بالغيلفون وقيل بالحليله شوحطت قرب شمبات الحالية عام 913هـ /1507م وتوفى سنة 1060هـ /1651م والده محمد الأرياب وأمه فاطمة (صلحة) بنت الشريف حمد أبودنانة، تتلمذ على يد أحمد زروق وعلى يد البندارى (موسوعة الأنساب والقبائل).
- 12- جريدة الأيام، الأربعاء 12 رجب 1405هـ، 3 ابريل 1985م.
- 13- جريدة الايام، الأربعاء، 12 رجب 1405هـ، 3 ابريل 1985م.
- 14- مذكرات محمد إبراهيم أبو سليم، دار الوثائق القومية السودانية الخرطوم، ص24.

- 15- جريدة الأيام ، الأربعاء 12 رجب 1405 هـ ، 3 ابريل 1985م.
- 16- مطبوعات الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، (سابق) ، ص 14 .
- 17- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون، درا الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م، ص 439 .
- 18- - لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري) ، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت، لبنان الطبعة الاولى 2000م، مادة (رمز) .
- 19- التوفيق على مهمات التعاريف (معجم لغوي اصطلاحي)، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق د . محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1410هـ، 1990م .
- 20- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الألوسى، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادي، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت، لبنان (د، ت، ط)
- 21- المعجم المفصل في الأدب ج 2، ص 488 .
- 22 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 57.
- 23 - الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دكتور محمد فتوح أحمد، دار المعارف، مصر، ط2، 1978م، ص 40 .
- 24 - الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، (سابق) ص 40 .
- 25 - نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة الكليات الأزهرية، حسين محمد أمبابي وأخوه محمد الطبعة الأولى 1398هـ- 1978م.
- 26 - الآمالي، أبوعلي القالي (د . ت . ط)، ج1، ص 6 .
- 27 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي)، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، طبع دار الجيل، الطبعة الخامسة 1401 هـ - 1981م.

- 28 - مفتاح العلوم، السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د،ت،ط).
- 29 - جواهر الكنز ، ص 106 .
- 30 - موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان، ناشرون ، الطبعة الأولى 1999م، ص 411 .
- 31 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 54.
- 32 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (سابق)، ج1، ص 30 .
- 33 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 10.
- 34 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 41.
- 35 - ديوان شراب الوصل، (سابق) ، ص 57.
- 36 - ديوان شراب الوصل، (سابق) ، ص 4.
- 37 - معاني القرآن بين الرواية والدراية، أحمد حسن الباقوري، ص 34 .
- 38 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به بيت الأفكار الدولية، توزيع دار ابن حزم، ج 1، ص 260 .
- 39 - المعجم المفصل في الأدب، (سابق)، ج 2، ص 489 .
- 40 - الفتوحات المكية، ابن عربي (أبو بكر محمد بن علي محي الدين الحاتمي الطائي)، تحقيق وتقديم دكتور عثمان يحيى، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، مصر، 1974م، ج3، ص 196 .
- 41 - اصطلاحات الصوفية، الشيخ كمال عبدالرازق القاشاني، تحقيق وتعليق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981م، ص 6.
- 42 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 64.
- 43 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 66.
- 44 - لسان العرب، ابن منظور، (سابق)، مادة (خمر) .

- 45 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص 414.
- 46 - جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، حققه وقدم له دكتور رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1988م، ج 1، ص 291 .
- 47 - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (سابق)، ج 2، ص 215 .
- 48 - الرمز الشعري عند الصوفية، (سابق)، ص 340.
- 49 - الرمز الشعري عند الصوفية، (سابق)، ص 340.
- 50 - التوفيق على مهمات التعاريف (معجم لغوي اصطلاحى)، محمد عبدالرؤوف المناوي، (سابق) ص 410.
- 51 - التعريفات، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسن الجرجاني الحنفي، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2000م، ص 123 .
- 52 - موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى 1999م، ص 411 .
- 53 - موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي، (سابق)، ص 411 .
- 54 - موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي، (سابق)، ص 411 .
- 55 - كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر بهامش شرح ديوان ابن الفارض، عبدالرازق الكاشاني، (د،ت،ط) ص 37.
- 56 - سلسلة علموا عنى - تقديم الشيخ محمد الشيخ إبراهيم الشيخ محمد عثمان عبده، طبع الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، ج 2 ص 81 .
- 57 - موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي، (سابق)، ص 411 .
- 58 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 29.
- 59 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 21.
- 60 - المعجم الصوفى، سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1401هـ-1981م، ص .



- 61 - شرح ديوان ابن الفارض، (سابق) ص .
- 62 - ديوان رشفات المدام، الشيخ قريب الله (قريب الله أبو صالح احمد الطيب البشير)، طبع مكتبة القاهرة، دار الطباعة المحمدية الطبعة الثانية 1390هـ - 1970م، ص 32 .
- 63 - ديوان رشفات المدام، (سابق)، ص 28 .
- 64 - ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، النابلسي (عبد الغنى بن اسماعيل بن عبد الغنى)، الناشر عبد الوكيل الدروبي، دمشق، شارع الدرويشية (د،ت،ط) ، 269 .
- 65 - الرمز الشعري عند الصوفية، (سابق)، ص 359 .
- 66 - شرح ديوان ابن الفارض، (سابق)، ص
- 67 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 13 .
- 68 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 13 .
- 69 - موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، (سابق) ، ص 411 .
- 70 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 1 .
- 71 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 20 .
- 72 - ديوان رشفات المدام، (سابق)، ص 83 .
- 73 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 36 .
- 74 - ديوان رشفات المدام، (سابق)، ص 160 .
- 75 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 39 .
- 76 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 36 .
- 77 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 1 .
- 78 - ديوان رشفات المدام، (سابق)، ص 124 .
- 79 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 2 .
- 80 - ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص 27 .
- 81 - ديوان رشفات المدام، (سابق)، ص 82 .



- 82- ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص.1
- 83- ديوان شراب الوصل،(سابق)، ص. 59
- 84- ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص. 1
- 85- ديوان شراب الوصل،(سابق)، ص. 19
- 86- ديوان رشقات المدام، (سابق)، ص. 82
- 87- ديوان شراب الوصل،(سابق)، ص. 63
- 88 - ديوان شراب الوصل،(سابق)، ص. 25
- 89- ديوان شراب الوصل،(سابق)، ص. 37
- 90- ديوان شراب الوصل،(سابق)، ص. 29
- 91- ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص. 1
- 92- ديوان شراب الوصل، (سابق)، ص. 2
- 93 - كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر،(سابق)، ص 37.